AJSP
المجلة العربية للعلوم السياسية
العدد السابع
تاريخ الإصدار : 2 - 5 - 2019
www.ajsp.net

"صور من عناصر المعانى الشعرية لدى الشاعر الأستاذ الدكتور عيسى أَلَبِي لاميته في مدح الشيخ عبد الله بن فودي أنموذجا"

إعداد:

الدكتور محمد صفيُّ عبد القادر

FEDERAL UNIVERSITY OF KASHERE

GOMBE, GOMBE STATE NIGERIA

E-mail:muhammadsafiyyuabdulkadir@gmail.com

GSM: +2348065992340

AJSP
المجلة العربية للنشر العلمي
العدد السابع
تاريخ الإصدار : 2 - 5 - 2019
www.ajsp.net

الملخص:

يهتم هذا المقال بجانب الصور الشعرية في لامية الأستاذ الدكتور عيسى ألبي التي يمدح فيها الشيخ العلامة الأديب عبد الله بن فودي، ويتكون المقال من نبذة عن حياة الشاعر وعرض سريع عن القصيدة والفكرة المحورية والمشاكلة بين التعبير والغرض من ناحية احتذاء التقاليد والمعاني الجزئية في القصيدة، والنهج والإصابة للغرض المطلوب من القصيدة. ويهدف المقال إلى إظهار مكانة المعاني الشعرية المتفقة بمذهب العرب في الشعر العربي النيجيري، وقصيدة الشاعر غاية في السمو بالمعاني الشعرية في نيجيريا كما كان الشاعر عبقري في وضع التعبير المنسجم بالغرض الشعري ومحاوره الجزئية وهذه غاية في الأدب العربي الجيد وقد حظي المقال بالبحث المكتبي في جمع معلوماته، كما استعمل فيه الكاتب المنهج الوصفي والتحليلي في معالجة قضياه.

كلمات الدراسة : العاني الشعرية، عيسى ألبي، المدح، الشيخ عبدالله بن فودي.

مقدمة:

لما كان المعنى له مدلولات كثيرة متنوعة من سياق إلى سياق آخر والنظرة إليها تختلف من زاوية إلى أخرى، ركز الباحث اهتمامه على ما يوضح صورا من العناصر في قصيدة الشاعر عيسى ألبي التي يمدح فيها الشيخ العلامة الأديب عبد الله بن فودي، فيتضمن المقال نبذة مختصرة عن الشاعر، ويأتي ضمن ذلك عرض سريع عن القصيدة وشرحها، ثم الفكرة المحورية والمشاكلة بين التعبير والغرض كما يناقش تحت هذه النقطة احتذاء التقاليد في القصيدة والمعاني الجزئية منها، كما يتضمن البحث أيضا نهج القصيدة والإصابة للغرض منها.

نبذة مختصرة عن الشاعر الأستاذ الدكتور عيسى ألبي أبوبكر:

هو عيسى بن أبي بكر بن محمد جمعة، لقد أفادت الوثائق التاريخية أن أسرته هاجرت من جمهورية غَانَا إلى نيجيريا فسكنت أُويُو (Oyo)، ثم انتقلت فيما بعد إلى إلُورِنْ ونزلت حي "مسفل غُرُومَا" بمنطقة غَمْبَرِي، كما أفاد عم الباحث الحاج جمعه أَوْنِيَنْ – رحمة الله عليه – في مقابلة شخصية أجريتها عليه يوم الأربعاء الموافق ١٧-٩-٢٠٠٤). وكذلك سكن والد الشاعر مدينة كَفَنْتَنْ التي تقع بولاية كَدُونَا يعمل تاجرا،

ثم ترك التجارة إلى الخياطة إلى وفاته في شهر سبتمبر عام ١٩٨٥م، في حادثة السيارة وهو على طريقه للعودة من السفر إلى مكان استقراره.

ولد شاعرنا في عام ١٩٥٣م بمدينة "كُمَاسِي" بجمهورية غَانَا، وعندما تم هجرة آبائه إلى نيجيريا كان صغيرا برفقة والديه، وقد ختم القرآن الكريم على يد الشيخ الحاج محمد بن عيسى الغمبري بمدينة إِلُورِنْ من بكورة حياته وذلك بمساعدة والده ورعايته.(١)

كان الشاعر في نشأته متأثرا بالبيئة الدينية الإسلامية حيث تلقى تربية طيبة على يد والديه وأدب على حب الدين والعبادة، وغذي بالسلوك الصوفية الصافية من الغلو. ولقد تكفلت عمته حليمة السعدية بعد والديه مسئولية رعايته، أشربته لبان الحنون والحب "وألهمته رهافة الحس ولطافة الشعور، إذ كانت دارها مأوى يأوي إليه الفقراء والمساكين من التلامذة والمهاجرين، ولم يكد ينتهي إلى البلوغ والرشد حتى برزت مخايل ذكائه، وقويت شجاعته الأدبية خصوصا من عوامل البيئة التي رحبته في آفاق عديدة فنال منها ما يغذيه قوى عقلية".(٢)

حياته العلمية:

بدأت حياة الشاعر العلمية في وقت مبكر حيث أدخل في الكتّاب وعمره حينذاك تسع أعوام فلزم شيخه الأول معلم الحاج محمد بن عيسى غمبري، وتعلم منه القرآن الكريم وشيئ من مباديء العلوم الإسلامية، ثم التحق بمركز التعليم العربي الإسلامي أَغِيغِي، في ولاية لَاغُووسْ عام ١٩٦٥م وذلك حينما صارت تربيته بيد عمته حليمة السعدية، وكان المركز تحت رعاية الشيخ آدم عبد الله الإلوري المشهور بالعلم والتقوى، وهناك تم حصول الشاعر على شهادتي المرحلة الإعدادية والثانوية. ثم التحق بجامعة بَايَرُو كَنُو، وحصل على شهادة الدِبْلُوم، التي مكنته فرصة الإتحاق بجامعة إلورن، وحصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية. وفي عام ١٩٨٥م عاد إلى جامعة بَايَرُو ليواصل دراسته العليا، وبعد حصوله على الشهادة العليا للماجيستر، سافر إلى المملكة العربية السعودية عام ١٩٩٠م، طلبا للشهادة الدبلوم العالي في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها في جامعة الملك سعود بالرياض. وسرعان ما عاد إلى نيجيريا، سجل لدراسة الدكتوراه بجامعة إِلُورِنْ، وتم حصول شهادته على الدكتوراه في عام ٢٠٠٠م(٣).

ومن عوامل تكوين شخصية الشاعر الأدبية والعلمية، كونه متمكنا في العلوم العربية والإسلامية لمواظبته التعلم والتعليم ومن حسن حظه أنه تلقى هذه العلوم من كبار العلماء، أمثال الشيخ محمد بن عيسى أستاذه الأول، والشيخ آدم عبد الله الإلُورِي مؤسس ومدير مركز التعليم العربي الإسلامي أَغِيغِي، وغيرهم من الفرافسة والدكاترة، ممن تأثر بهم في حياته العلمية، رزق من خلالها تكوين حياته الأدبية بطابعها الخاص

إضافة إلى ما أشرب به قلبه من حب العلم وتدآب القراءة والولع بالطلاع على عيون الأدب، وكان يكف على دواوين فحول من الشعراء القدامى فأكب عليها قرءاة ونقدا وموازنة، وما أحاطت به من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعد كلها من الأوجه الحياة البيئية وأوضاعها الطبيعية كل هذا وذاك ساعدت في تكوينه أديبا وشاعرا فلقا عبقريا .[٤]

لقد كان الأستاذ الدكتور ألبي شاعرا عبقريا بامتياز، له أشعار كثيرة وردت في دواوينه، منها: ديوانه الرياض والسباعيات،[٥] ولقد تم تعيينه محاضرا بكلية التربية أُورُو، ثم جاءته وظيفة جديدة من جامعة عثمان بن فودي بصكتو، حيث عين محاضرا بقسم اللغة العربية، فقضى فيها عشرة أعواما، ثم انتقل إلى جامعة إلورن محاضرا بقسم اللغة العربية؛ وظل هناك إلى اليوم متمتعا يدرس الأدب العربي والترجمة والرواية وغيرها من المواد العربية التي لها علاقة بميدان تخصصه.[٦]

عرض سريع عن القصيدة:

ألقى الشاعر لاميته في المؤتمر الإسلامي للأستاذ عبد الله بن فودي الذي نظمه المركز الإسلامي بجامعة صَكُّتُو، من ٨-١١- مارس ١٩٨٤م، وهي فصيدة تشتمل على خمسين بيت من البحر الكامل، يقول فيها:

١. يا شعر أنت لرونقي وجمالي ** أهواك في حلّي وفي ترحالي
٢. ما زلت أبذل كل ما تهواه من ** دأب الأديب بفكرتي وبمالي
٣. ووضعت عرشك في مكان ليس تل_ ** مسه يد التلويث والأطفال
٤. فاليوم لاتبخل عليّ ضنانة ** جد بالجديد لشيخنا المفضال

***

٥. الشعر مملكة وأنت مليكها ** شيخي فخذ مني ضئيل مقالي
٦. الشعر باب مغلق ففتحته ** بمفاتح الإلهام والأمثال
٧. الشعر قبلك في البلاد مقيد ** فنجيته وفككت كلّ عقال
٨. فإذا نظمت فللقلوب تحيّر ** وإذا نثرت أخذت لبّ رجال
٩. قل لي سقى الرحمن قبرك بالرضا ** والعطف يا رب القريض العالي
١٠. من أين يأتيك القريض تدفقا ** يأتي كماء هاطل سلسال؟
١١. إن التفاوت في المعارف ظاهر ** عند الرجال على مدى الأحوال
١٢. أسمى الذّخائر في الحياة بلا مرا ** علم به يأتيك كلّ جلال

١٣. أستاذ أعظم ما ملكت تفضلاً ** علم صعدت به على الأجيال
١٤. إن الإمارة قد أتتك زيادة ** منقادة عفوا بدون قتال
١٥. فأريتها حكم الرّشيد ورأيه ** وحكمت بالتقوى بلا إشكال

***

١٦. هو عبقريٌّ ليس يفري فريه ** في عصره ند بدون تغال
١٧. يأيّها العربي بين السود في ** هذي الدّيار نظير مثلك غال
١٨. هذه الدّيار يكاد يهدم ركنها ** ظلم الرّجال فحلت دون زوال
١٩. الفتنة العشواء هبّت ريحها ** بين الفئات بأهول البلبال
٢٠. ذهبت ضحيّتها نفوس كماتنا ** قاموا لصون الدين كالرّئبال
٢١. فقبعت ثورتها بكلّ مهارة ** وبسالة الشجعان والأبطال
٢٢. إن الفريد هو الفريد طباعة ** في وقت سلم أو زمان نضال
٢٣. أبناء فودي إن قرنكم لمن ** خير القرون لأعظم الأفعال
٢٤. والله كلّل جهدكم بنجاحكم ** في الحكم أوجكم بعيد عال
٢٥. والعلم يسكب من سما شفاهكم ** سكب الغزير لمحو كلّ ضلال
٢٦. ولواء دين الله يخفق في سما الـ ** ـسّودان رغم كراهة الجهّال
٢٧. إن الجهاد من العجائب عندنا ** وبه تحقق –صاح– ألف محال
٢٨. هذا كفى درساً لنا علمائنا ** هبوا إلى الإصلاح بالآمال

***

٢٩. إنا قدرنا كلّ ما ألفته ** رب اليراع بحكمة وكمال
٣٠. إن الضّياء يضئ كلّ جوانب الـ ** ـأعمار يغرق فيه نور ذبال
٣١. إنّي أرى "التزيين" أحسن ما تجو ** ـد به القريحة فاز بالإقبال
٣٢. وكذا "الفرئد" في البيان جليلة ** وجميلة نسّقتها كلآل
٣٣. ونظمت "لؤلؤك المصون" بدون أن ** تأتي بتطويلٍ ولا إخلال
٣٤. و "مصالح الإنسان" فيه هداية ** "ضوء المصلي" أرفع الأقوال
٣٥. و "كتاب ترهيب" ينبه غافلا ** ودعمت رأيك فيه باستدلال
٣٦. و "مطية الزاد" الذي ألفته ** ليكون للإنسان خير نوال

٣٧. واقرأ "سبيل نجاتنا" بتأمّل ** و "سراج جامعنا" بدون ملال

٣٨. آثار عبد الله كيف نعدها ** تعدادها شاق كعد رمال

٣٩. أين السّبيل إلى لحاف غباره ** في الفضل هذا الأمر يشغل بالي؟

***

٤٠. في المهرجان ألا نجدّد عهدنا ** للعلم يصحبه جميل خصال

٤١. إن الأوائل كيف يبقى ذكرهم ** من دون ما علمٍ وخير خلال؟

٤٢. أخلاقنا أني تدهور أسها ** ونعيش عيش بهائم الأدغال؟

٤٣. ذو مرة فينا عدوّ ضعيفنا ** وضعيفنا حربُ على الأقيال

٤٤. إن التعصب في البلاد يضرنا ** ويكاد يدفعنا إلى الآجال

٤٥. وكذا غلاء السعر في أسواقنا ** أمر يهيج حزن كل ضئال

٤٦. والأرض تبخل لا تجود بخيرها ** وسماؤنا سقف بلا إسبال

٤٧. هل هكذا نبقى يهدّد أمنا ** قطع الطريق وصولة القتّال؟

٤٨. و "الحصن" في التصريف أرصن ما بنا ** هـ العقل رغم تقادم الأحوال

٤٩. وكذلك "البحر المحيط" مياهه ** تشفي الغليل وليس كالبخال

٥٠. وسناك "لمح البرق" يغمر أفقنا ** فتح اللّطيف" الماجد المتالي[٧]

الشرح:

استهل الشاعر من البيت ١ – ٤ بالكلام عن حالة تصرفه مع الشعر العربي حيث جعل الشعر جزءا من مكونات حياته الثقافية يلتزمه التزام الإنسان الطعام واللباس حتي لجعل الشعر عيشه يحيى معه ويتجمل ويعتز به في جميع أحواله حالة بعده وقربه من البيت، ولمنزلة الشعر عنده كان يعتني به حسا ومعنا بالفكر والمال ويحتفظ به وبحميه حيث لا يضيع ولا تصل إليه أيادي الفسادة وكان يتمنى منه أن يصله بالمثل ولا يقطع عنه عندما يعرض لمدح ممدوحه.

ومن البيت ٥ إلى ١٥ يبين الشاعر فضل الممدوح في نظم الشعر فيصفه بالعبقرية والملكة في قرض الشعر، والشعر عند ممدوحه مملوك ومتى أراد نظمه يأتي إليه الشعر منقادا، وكان الشعر قبل عهد ممدوحه سقيما جامدا مقيدا مغلقا فهو الذي عالج سقمه وكسر جموده وفك قيوده وفتح بابه المغلق بما لديه من تجربة ومهارة شعرية، فكان إذا نظم الشعر وكتب النثر الفني تحير الشعراء والأدباء من تمكنه وبراعته، ثم وصف أمره في قرض الشعر بشيء عجيب ويقول بالله من أين يأتيك القريض بهذه الغزارة كالماء الوبل؟!، وليس هذا

فحسب بل أنت أيها الممدوح متمكن بارع في جميع المعاريف تحظى قدم السيق على ذوي العلم من أجيال عهدك. ثم تحدث عما مَنَّه الله به من الإمارة والحكمة إضافة على نعمة العلم وشرفه فكان يقود رعيته بالرشد والفطانة مع الإيمان والتقوى.

ومن البيث ١٦– ٢٨ يبين أن ممدوحه عبقري لا يضاريه أحد في عصره وهذا مما لا شك فيه ، فهو وإن كان من أجناس السود ولكنه عربي. إنه باسل شجاع وبطل جريء وعندما عم الجور هذه البلاد السودانية (بلاد هوسا وغيرها) على يد السلاطين وحلت الفتن والبلايا بشكل عشاوئي التي سببت هلاك عدد من الناس قام بنصرة أخيه المجدد الشيخ عثمان بن فودي لمحاربة الظلم ورجاله وإصلاح الأوضاع السيئة في المنطقة دينيا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا لحفظ الدين وأهله. ولقد عد الشاعر القرن التاسع عشر من خير القرون في المنطقة لأن القرن شهد أعمالا ناجحة وجهودا مبذولة في العلم والرعية على أيدي أبناء فوديو ، وهو قرن انتشر فيه العلم في بقاء بلاد السودان على يد الممدوح وأخيه المجدد الشيخ عثمان وتلاميذهما وغيرهم حتى رفع للدين راية على شُرف يستوطن تحته الجهال ودخل الدين والعلم في بيوت عوام المسلمين والكفار جميعا، ومن العجب العجاب أن الجهاد على أيديهم تحقق من النصر العظيم بفضل الله في إصلاح المناطق والأماكن من هذه البلاد السودانية، وكل هذا يعد مما يقتدي به علماء هذا الزمن لإصلاح الأوضاء الدينية والسياسية.

أما من البيت ٢٩ – ٣٩ كان الشاعر يسوق ذكر بعض المؤلفات التي لها صيت في المجتمع العلمي مادحا بذكرها ممدوحه مع وصف الكتب المذكورة بما يشعر به مدى من أنوارها، فقد قدر الشاعر لكل هذه المؤلفات حكمة في تأليفها، فكتاب "الضياء" ألفه الممدوح ليضيء به جميع جوانب بلاد المنطقة. و"تزيين الورقات" كتاب رائع نال القبول في أوساط العلماء، فيه ما يدل على الكاتب من الطبيعة الجميلة المطبوعة. وكتاب "الفرائد الجلية" فهو كتاب منظوم يستحق هذا الاسم حيث أن معلوماته منسقة واضحة الدلالة وبينة في المعاني جميلة في الأفكار، كما أن منظومته في كتاب "اللؤلؤ المصون" فازت بدقة الألفاظ للمعاني الواضحة عبارتها تنسجم مع طبيعة القاريء لا فيها الإسهام ولا الإخلال، كذلك له كتاب اسمه "مصالح الإنسان" في ما يهتدي به القاريء لمصلحة حياته الدنيوية والأخروية. وهكذا استمر الشاعر يذكر أسماء هذه الكتب ويلمح بفوائد كل منها، فذكر من ذلك "ضوء المصلي" و "كتاب الترهيب" و "مطية الزاد" و "سبيل نجاتنا" و "سراج جامعنا" ثم ذكر الشاعر بأن كتب الشيخ الإمام عبد الله كثيرة لا تعد في أضيق وقت ممكن مثلما يعجز عن عد الحصى في الوقت القليل. واعتقد الشاعر بأن للحاق بالممدوح في فضله هذا غير ممكن بل الفضل للمتقدم، وقال:

أين السّبيل إلى لحاف غباره ** في الفضل، هذا الأمر يشغل بالي؟.[8]

وفي البيت ٤٠ – ٥٠ كان الشاعر يحرض المحتفلين في هذا المهرجان بأن يقوموا بتجديد العهد لنشر العلم والعمل به لأن التاريخ أبقى ذكر محاسن العلماء الأسلاف لما لهم من جهود في نشر العلم والعمل به فمن دون ذلك لا يعرفون ولا يذكرون. ويتساءل الشاعر متعجبا كيف فسدت القيم والأخلاق في زمننا حتى صار الناس يحيون حياة تافهة لا قيمة لها فالقوي منهم يأكل الضعيف، والضعيف تحول عدوا للزعماء والملوك، وانتشر بين الناس التعصب والعنصرية علما بأن التعصب عدو للإنسانية ضرره أعظم من التصور كان يهلك الناس ويدمر الحياة، ناهيك عن غلاء السعر الذي صار طبيعة في الأسواق مما كله يؤدي بالمجتمع إلى نقطة فشل في الحياة الاقتصادية، ثم يشكو الشاعر أحوال السيئة التي حصلت للمنطقة بفقدان الممدوح وأمثاله حيث وصف أرض المنطقة بأنها جافة لحقها القحط وانقطع عنها الماء وذلك لكثرة الفساد والذنوب في حين انتشر قطع الطريق ورجال الإرهاب في كل البلاد يهددون أمن الناس ويقتلون الأبرياء، ولا ينبغي للناس أن يبقوا هكذا دون أن يتحركوا لفك هذه القيود المضرة التي تسبب لهم حياة متخلفة فاشلة. ثم عاد ليستمر بذكر آثار الممدوح وبيان ما تدل عليه من علم وذكر قيمتها في وسط أصحاب العلم والثقافة، فذكر كتاب "الحصن الرصين" الذي يحمل معلومات عن الصرف وقد اسحق هذا الاسم حيث أن معلوماته دقيقة صلبة تتماشى بكل زمن ، وله كتاب "البحر المحيط" فهو أيضا عذب سلس المعلومات يجد القاريء فيها ضالته مثلما يجد الغليل حاجته من الماء البارد، وله أيضا كتاب "لمح البرق" معلوماته واضحة الدلالة وكتاب "فتح اللطيف" فهو كتاب شريف المعلومات سهلت الألفاظها لتعطي المعاني الواضحة بحيث يتشرف بها كل من استفاد منها.

الفكرة المحورية:

١- غرض الشاعر في هذه القصيدة مدح الشيخ عبد الله بن فودي الذي يعتبر من كبار الأدباء العباقرة والقادة الأفذاذ والعلماء الأزكياء الفطنة في نيجيريا القديمة.

٢- وصف الشيخ بأنه شاعر فلق عبقيري بارع في قرض الشعر لديه ملكة قوية للغة العربية والشعر عنده مملوك ومتى أراد نظمه تأتي إليه الأفكار المستقيمة.

٣- كان الممدوح متمكن ذو مهارة في جميع المعاريف والعلوم فاق العلماء البحور من أجيال عهده، وهو أيضا حكيم له مهارة وتجربة في قيادة الرعية فكان يقود رعيته بالرشد والفطانة مع الإيمان والتقوى.

٤- وصف ممدوحه بالشجاعة والبسالة والتقدم بالسرعة في إغاثة المظلوم ودفع الظلمة وإنقاذ الناس من ظلم الجهل.

٥- كان الشاعر يحرض المحتفلين في هذا المهرجان بأن يقوموا بتجديد العهد لنشر العلم والعمل به اقتداء بأسلافهم من مثل الممدوح.

٦- الشكوة والشجون بحال الناس في هذا الزمان الذي يعيش فيه الناس عيشة جاهلية فقد جمع الزمن كل أنواع الفساد التي تحرب البلاد وتمر الأجيال.

٧- ذكر بعض آثار الممدوح التي فيها الخصال الأصيلة الجملية وتعبر عن التراث الديني واللغوي وفيها علم الأباء والأجداد.

المشاكلة بين التعبير والغرض:

إن الشاعر العبقري ينظم شعره تنظيما يتناسب مع غرضه وكل شعره له طبيعته الخاصة وماهيته المستقلة تتجلى تلك الخصوصية من خلال معان أو أفكار جزئية وما يتبع ذلك من أشكال تعبيرية تليق به، فلغرض هذا الشعر الذي كان الباحث في توضيحه دائرته الشعورية تتفق مع جو الشعر المديح لأن الشاعر اهتم فيه بذكر معان تدل على المطلب من الغرض من مثل ذكر الثناء على الممدوح وذكر مناقبه، وذكر أظهر مناسبه كما تجلى ذلك في قوله:

الشعر مملكة وأنت مليكها ** شيخي فخذ مني ضئيل مقالي

الشعر باب مغلق ففتحته ** بمفاتح الإلهام والأمثال

الشعر قبلك في البلاد مقيد ** فنجيته وفككت كلّ عقال

فإذا نظمت فللقلوب تحيّر ** وإذا نثرت أخذت لبّ رجال

إن الشاعر هنا ساق لنا مناقب ممدوحه حيث ذكر عبقريته في نظم الشعر وأنه متمكن جدا وكأن قرض الشعر صار ملكا له خاصة فجميع الشعراء يغترفون من دلوه بإذنه، وكان متى أراد نظمه يأتي إليه الشعر مستسلما منقادا، ومن هذه المناقب وإظهار مناسب الممدوح أنه أحيا الشعر بعد موتها وعالج ما كان منه من سقيم وفك ما كان منه من قيود وفتح ماكان منه من غلق، واستمر إلى ذكر ما يدل على معان المدح تتفق بمستوى الممدوح والغرض الذي سيقت القصيدة من أجله. وهذا لاشك أنه غاية من مشاكلة التعبير بالغرض في وضع الشاعر وكان بهذا يعلم مقاصد القول حيث مدح فأطرى وأسمع، وهو أول ما يحتاج إليه كل شاعر حسب ما يقوله ابن رشيق القيرواني، فالشاعر العبقري بهذا المعنى عنده هو الذي "إن نسب ذل وخضع، وإن

مدح أطرى وأسمع، وإن اهجا أخل وأوجع، وإن فخر خب ووضع، وإن عاتب خفض ورفع، وإن استعطف حنّ ورجع"[9]

واقرأ معي قوله في الممدوح يظهر مناسبه بالتعبير الذي يدل على تجاربه الخاص في تشكيل الغرض قائلا:

هو عبقريٌّ ليس يفري فريه ** في عصره ند بدون تغال

يأيّها العربي بين السود في ** هذي الدّيار نظير مثلك غال

فقد أظهر الشاعر مدى مهارة ممدوحه وعلمه حيث لم يدانيه أحد في عصره في العلم والأدب وزعم أنه عربي لما تجسد فيه من أوصاف العروبة وأدبها وتقاليدها، لذلك فإن الممدوح حتى وإن كان من جنس السود ولكنه عربي.. !واعتقد الشاعر أن الممدوح حي وليس بميت كما اعتقده الناس لأن المعرف أن الذي ترك للناس الأعمال الخيرية فهو مازال يذكر بينهم بعمله ولذلك صمم الشاعر ودعا ممدوحه بما يدعا به الحي وتعدى بحرف النداء قائلا: "**يأيّها العربي!**". وهذه قمة في وضع صورة التعبير للغرض ولا يقدر على إيجاد الموافقة بين اثنين التعبير والغرض إلا شاعر فلق ذو تجربة بأفانين الأدب العربي. فهنا قد وفق الشاعر في جودة الشعر المديح وتبين تمكنه وبراعته في وضع الشعر للغرض المقصود.

احتذاء التقاليد:

من المعروف أن الشاعر الفحل الجيد لا بد وأن يسعى في أدبه نحو موافقة تعبيره بالتراث، وعند وضع معلومات شعره تجده لا يخرج عن العرف الطبيعي المنسجم مع أذواق مجتمعه والبيئة التي سيتم فيها إلقاء هذا الشعر، وللتوكيد على ما ذكر يستطيع القاريء أن يتابعه في أمرين أساسيين تحت الاحتذاء وهما: المعاني الجزئية و نهج القصيدة.

المعاني الجزئية:- إنه تنبثق المعاني الجزئية في النص من محاور الغرض فالعظمة والرفعة والجلالة والفضل والصعود والترقي والشرف كلها معان جزئية من معاني المدح وهي مواصفات تجسدت في الممدوح بحيث تصير فيه شعارا ويجري بها وضع العرف العربي، فالشاعر لم يخرج عن طريق العرب المعتاد في وصف ممدوحه بصفات تتفق بمعاني المدح اتفق عليها العرب بل جرى مجرى شعراء العرب حين قال:

إن التفاوت في المعارف ظاهر ** عند الرجال على مدى الأحوال

أسمى الذّخائر في الحياة بلا مرا ** علم به يأتيك كلّ جلال

أستاذ أعظم ما ملكت تفضلاً ** علم صعدت به على الأجيال

هنا قد وفق الشاعر في وصف الممدوح بالفضل والترقي والتفوق على الزملاء والرجال والأجيال بعد حصوله على العلم وأن العلم فيه ما يورث لصاحبه العظمة ورجاحة العقل والرزانة وهذه الصفات المذكورة في التعبير لا شك أنها وضعت متطابقة بالعرف المعتاد على طريقة العرب وغيرهم وهي نمط من المعاني الجزئية التي من أجلها مدح الشاعر ممدوحه، العلم يرفع صاحبه ويشرفه ويعززه وهنا ترى أن الصفات كلها تتفق مع الغرض المديح وهو المطلوب في احتذاء التقاليد.

ثم جاء الشاعر يذكر بعض إنتاجات الممدوح بشكل منظم لطيف ورائع حيث يصف كل كتاب أنتجه الممدوح بما يلائم عنوان الكتاب صفة تتطابق بغرض شعره هو، وتنسجم مع ما وضع لها من المعاني المعتادة عند العرب كما تتفق مع المطلوب في الشعر المديح بالتحديد، اسمعه يقول في كتاب "**ضياء التأويل**":

إن الضّياء يضئ كلّ جوانب الـ ** _أعمار يغرق فيه نور ذبال

ولم يقطع أنفاسه بعد ذكر الكتاب حتى أخبر أن الكتاب لا شك يستحق هذا الاسم لأنه شمس في أفق السماء يتشرف جميع أهل الأرض بضوئه شرقا وغربا يمينا وشمالا فمعلومات الواردة فيه تغطي قلوب النافعين بها بضوءها فيهتدون بها إلى ما يعمر حياتهم الدينية، كما يهتدون على وجه الأرض بضوء الشمس إلى مقاصد حياتهم الدنيوية. فنسبة صفة الضوء للكتاب مقبول في جميع التقاليد البشري، بهذا لم يخالف الشاعر عما هو المعروف في طريقة العرب في وصف الأشياء بما يلائمها ملاءمة تامة كما أن تعبيره موافق بالغرض وهو من المعاني الجزئية إذ أن ذكر كتاب الممدوح ووصف الكتاب بالصفة الجميلة جزء من شرف الممدوح ومدحه.

نهج القصيدة:- لقد درج الشاعر في نظم قصيدته من حيث البدء والختام ونسق المعاني الجزئية وترتيبها إلى ما يؤدي بشعره إلى الإعجاب به عند القارىء والسامع ويفسر به عن الواقع النفسي لمشاعر نفسه، والواقع التصوري للممدوح والمجتمع فكون بهذا التفسير ارتباطا قويا بينه وبين الإجادة الفنية والطاقة الإبدائية والتمسك بزمام أدبه للمعاني السامية، فها هو قد بدأ فيه بذكر الهوى والشوق إلى ممدوحه وذكر مهارته في وضع الشعر وقرضه وبذكر شخصيته وهويته وتفوقه على العلماء من أجياله في العلوم وذكر نمط حياة المجتمع الحاضرة ودعوة الناس إلى اقتداء بالممدوح وذكر ما يدل على مقدرته في قيادة رعيته وذكر آثاره العلمية ومجهوداته.

فقد استهل من أول قصيدته بالهوى والشوق مثلا فقال:

يا شعر أنت لرونقي وجمالي ** أهواك في حلّي وفي ترحالي

ما زلت أبذل كل ما تهواه من ** دأب الأديب بفكرتي وبمالي

إلى أن يقول في عبقرية الممدوح في وضع الشعر وقرضه:

الشعر مملكة وأنت مليكها ** شيخي فخذ مني ضئيل مقالي

الشعر باب مغلق ففتحته ** بمفاتح الإلهام والأمثال

الشعر قبلك في البلاد مقيد ** فنجيته وفككت كلّ عقال

فإذا نظمت فللقلوب تحيّر ** وإذا نثرت أخذت لبّ رجال

قل لي سقى الرحمن قبرك بالرضا ** والعطف يا رب القريض العالي

من أين يأتيك القريض تدفقا ** يأتي كماء هاطل سلسال؟

ثم يختتم بذكر آثار الممدوح وهذا من الإبداء لأن حسن الأمر وجماله تقدر في اختتامه ويكون تفسير ذلك أن حياة الممدوح كلها جميلة بدأ وختاما، بدأ الشاعر بما يميل إليه النفس وختم بما تأمله نفس وترجو تحققه في الحياة السعيدة، وهذه غاية في تحريك المشاعر وترغيب النفوس وتحريضها نحو الامتثال بالأدب الجميل وأدعى إلى الاقتداء بالممدوح وكل من فيه توافر هذه الصفات.

و "الحصن" في التصريف أرصن ما بنا ** هـ العقل رغم تقادم الأحوال

وكذلك "البحر المحيط" مياهه ** تشفي الغليل وليس كالبخال

وسناك "لمح البرق" يغمر أفقنا ** فتح اللّطيف" الماجد المتالي

إلى غير ذلك من الأمثلة في توضيح نهج القصيدة مما دل على عدم خروج الشاعر عن التقاليد وعن مذهب المتقدمين في مقصد القصيدة سوى أن المتقدمين يتعرض في قصائدهم ذكر أكثر من غرض وغرضين وثلاثة لكن يرتبون الأغراض بقدر كبير من الإبداء يؤدي إلى إعجاب القارىء والسامع، وهنا وإن ركز الشاعر على غرض واحد "المدح" إلا أنه اهتم بالأفكار المحورية والتزم فيها بالمعاني القديمة التي حددت في إطار عرض نهج القصيدة عند العرب فصاغها الشاعر صياغة تتفق بعصره الحديث وبمعان فنية خاصة بمهارته وأصالته.

الإصابة:

الإصابة من معايير صور التعبير عن الغرض ولقد صاغ الشاعر من المعاني في هذا الشعر ما تحقق به غرضه تحقيقا جيدا وكان بفطانته وذكائه نفذ إلى ماهية غرضه وصوره تصويرا جوهريا رائعا بحيث جعل ممدوحه مثالا نموذجيا للمدح إذ بلغ به أقصى ما يقول به الشاعر المصيب الفطن في إصابة عين المعاني للغرض، واقرأ قوله في الممدوح يصفه بالعلم الزائد الفائق فسماه أستاذا ثم إنه لم يسكت حتى جعل العلم هو أعظم ثروة يملكها الممدوح وبه تفوق على جيله في عصره، مصورا ممدوحه بفريد عصره في مجال فضل العلم، قائلا:

أستاذ أعظم ما ملكت تفضلاً ** علم صعدت به على الأجيال

وهذه العبارة غاية للمعاني السامية فقد جعل الشاعر من خلالها نموذجا إنسانيا في العلم أصاب بها الغرض لأنه ذكر الصفات اللائقة به، وهذه المعاني تأتي الشاعر عفوا دون تكلف وهي منسقة مرتبة تنبثق منه لتنبىء بفطانته وذكائه في ضبط زمام شعره كي يتحقق من ورائها الغرض المنشود ألا تراه يقول بعد البيت السابق:

هو عبقريٌّ ليس يفري فريه ** في عصره ند بدون تغال

فقد صور الممدوح بالعبقرية وذلك بعد وصفه بالتفوق على الأجيال ثم عاد ليقول:

أبناء فودي إن قرنكم لمن ** خير القرون لأعظم الأفعال

والله كلّل جهدكم بنجاحكم ** في الحكم أوجكم بعيد عال

والعلم يسكب من سما شفاهكم ** سكب الغزير لمحو كلّ ضلال

وجاء الشاعر مرة أخرى لدعم ادعائه في هذا المدح ويرفع معنى شعره إلى أقصى غاية من الغايات الفنية في تصوير فضل ممدوحه في العلم فيقول:

أين السّبيل إلى لحاف غباره ** في الفضل هذا الأمر يشغل بالي؟

فهنا قد أعطى الشاعر الصور المثلى للتعبير الفني عن الغرض المطلوب في شعره من حيث البناء والأفكار الجزئية والصور التعبيرية وبهذا وذاك يحكم بأنه شاعر فلق مصيب .

خاتمة:

فقد تم معالجة هذا المقال من خلال نقاطه الجوهرية، فذكر منها: نبذة عن الشاعر الدكتور عيسى ألبي أبوبكر وحياته العلمية ثم جاء عرض سريع عن القصيدة و شرحها وكشف بعد ذلك عن فكرتها المحورية ومن ثم قدم عنها المشاكلة بين التعبير والغرض وتم من هذه النقطة مناقشة احتذاء التقاليد في القصيدة والمعاني الجزئية منها، وعرض نهج القصيدة، ثم تقديم الإصابة للغرض من القصيدة.

وقد كشف المقال أن المعاني الشعرية هي ثمرة في الجودة الفنية وأن الغاية فيها مقدرة الشاعر في بناء قصيدته والتمكن في وضع الأفكار الجزئية والمحافظ على تنسقها وترتيبها وفق الغرض العام ووضع عباراتها بحيث تتفق بمذهب العرب في الأداء الفني ثم يصيب بها الغرض لما فيها من الصورة المثلى، وقد تحقق الشاعر بفطانته ومهارته وتجربته الفنية تلك الماهية فهو شاعر فلق بارع مصيب.

المصادر والهوامش:

١- سليمان إبراهيم غروما "الاتجاهات الموضوعية والدراسة الفنية في شعر عيسى ألبي أبوبكر" بحث مقدم للحصول على شهادة الدكتوره في اللغة العربية وآدابه، قسم الدراسات العربية والإسلامية، جامعة ولاية كوغي، أينغبا، ٢٠١٦م، ص/٨

٢- موسى عبد السلام مصطفى، "صور من المحسنات البديعية في ديوان عيسى ألبي أبي بكر الإلوري دراسة تحليلية بلاغية " مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور باكستان، العدد الخامس والعشرون، ٢٠١٨. Pu.edu.pk > journal> arabhc> PDF

٣- سليمان إبراهيم غروما "الاتجاهات الموضوعية والدراسة الفنية في شعر عيسى ألبي أبوبكر" المصدر السابق ص/٨

٤- سليمان إبراهيم غروما "الاتجاهات الموضوعية والدراسة الفنية في شعر عيسى ألبي أبوبكر" المصدر السابق ص/٨

٥- عيسى ألبي أبوبكر (الدكتور)، "السباعيات"، النهار، مدينة إيوو، نيجيريا،ص/٢٩- ١٩٧

٦- موسى عبد السلام مصطفى، "صور من المحسنات البديعية في ديوان عيسى ألبي أبي بكر الإلوري دراسة تحليلية بلاغية " مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور باكستان، العدد الخامس والعشرون، ٢٠١٨. Pu.edu.pk > journal> arabhc> PDF

٧- عيسى ألبي أبوبكر، ديوان "الريض"، النهار، مدينة إيوو، نيجيريا،ص/٧٧-٧٩

٨- عيسى ألبي أبوبكر، ديوان "الريض"، النهار، مدينة إيوو، نيجيريا،ص/٧٧-٧٩

٩- حسن طبل (الدكتور)، "المعنى الشعري في التراث النقدي"، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٨الهجرية- ١٩٩٨م، ص/١٧

ABSTRACT:

This article attempted to investigate and appraise the degree and quality of words, meaning and expressions in the praise poetry of Professor Isa Alaabiy on a super writer of Arabic Poetry Al-Shaikh Abdullahi Bn Fodio. It contains a brief history of poet and poems exemplary displayed, the center line idea, the similarities between words expression and main objective of the poem especially in the direction of contingent, tradition and meaning of praise poetry as well as the approach and manifestation. The poet's poetry is leveled among the best poems that gives eminence to meaningful poetics of the Nigerian Arabic Literature as well as being genius in words expression that conformed with poetic objectives and parts axes which was considered as accuracy and quality of expressions in good Arabic literature. This article adopted and uses descriptive method in its analysis and interpretation.

Keywords: praise, poetry, Professor Isa Alaabiy, meaning expressions